العصمة في ضوء الاحاديث

<"xml encoding="UTF-8?>

كثيرة هي الإحاديث التي تؤكد علي عصمة الامام، فعن الرضا (عليه السلام) في حديث له قال: و إنّ العبد إذا اختاره الله لأمور عباده شرح صدره لذلک و أودع قلبه ينابيع الحكمة وألهمه العلم إلهاماً فلم يعي بعده بجواب و لايحير فيه عن الصواب. فهو معصوم، مؤيد، موفّق، مسدّد، قد أن من الخطايا و الزلل و العثار يخصّه الله بذلک ليكون حجّة علي عباده وشاهده على خلقه: و﴿ ذُلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ 1 2.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) في حديث له قال:

فالإمام هوالمنتخب المرتضي و الهادي المنتجي و القائم المرتجي، اصطفاه الله بذلك واصطنعه على عينه في الذرّ حين ذرأه و في البرية حين برأه ظلاً قبل خلقه نسمة عن يمين عرشه، محبواً بالحكمة، في علم الغيب عنده، اختاره بعلمه و انتجبه لطهره، بقية من آدم (عليه السلام) وخيرة من ذرّية نوح و مصطفي من آل إبراهيم و سلالة من اسماعيل، و صفوة من عترة محمّد (صلى الله عليه و آله و سلم) لم يزل مرعياً بعين الله يخفظه و يكلؤه بستره مطروداً عنه حبائل إبليس وجنوده مدفوعاً عنه وقوب الغواسق و نفوث كل فاسق، مصروفاً عنه قوارف السوء، مبرءاً من العاهات، محجوباً عن الآفات، معصوماً من الزلآت مصوناً عن الفواحش كلها، معروفاً بالحلم و البر في يفاعه، منسوباً إلي العفاف و العلم و الفضل عند انتهائه مسنداً إليه أمر والده، صامتاً عن المنطق في حياته3.

وعن علي (عليه السلام) قال: و قد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي علي الفروج والدماء والمغانم و الأحكام و إمامة المسلمين، البخيل فتكون في أموالهم نهفته، و لا الجاهل فيضلّهم بجهله، و لا الجافي فيقطعهم يجفائه، و ل االحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم. ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، وقف بها دون المقاطع و لا المعطل للسنّة فيُهلک الأُمّة4.

وعن علي بن الحسين زين العابدين (عليهما السلام) قال: «الإمام منّا لا يكون إلّا معصوماً. فقيل له: يابن رسول الله، فما معني المعصوم ؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله و حبل الله هو القرآن لا يفترقان الى يوم القيامة و

الإمام يهدي الى القرآن و القرآن يهدي إلى الإمام، ذلك قول الله عزوجل ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ... ﴾ 56.

وعن سليم بن قيس قال: سمعت أميرالمؤمنين (عليه السلام) يقول: انما الطاعة لله عزوجل ولرسوله و لأولي الأمرو انما أمر بطاعة أولي الأمر لأنّهم معصومون مطهرون لايأمرون بمعصيته7.

وعن ابن عباس قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يقول: أنا وعلي و الحسن والحسين و تسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون»8.

وعن الامام الصادق في حديث له قال: نحن خزّان علم الله، نحن تراجمة أمرالله نحن قوم معصومون. أمرالله بطاعتنا و نهى عن معصيتنا، نحن الحجّة البالغة علي من دون السماء وفوق الأرض9.

وعن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: الإمام المطهّر من الذنوب و المبرّأ عن العيوب المخصوص بالعلم10.

وعن سيّدنا محمّد (صلى الله عليه و آله و سلم) انه قال: من سرّ أن ينظر إلي القضيب الياقوت الأحمر الذي غرسه الله بيده و يكون متمسكاً به، فليتول عليا و الأئمة من ولده فانهم خيرة الله و صفوته و هم العصومون من كل ذنب و خطيئة11.

عن حسين الأشقر قال: قلت لهشام بن الحكم: ما معني قولكم: إن الامام لايكون إلا معصوماً ؟ قال سألت أباعبدالله عن ذلك فقال: المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله و قد قال الله: ﴿ ... وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ 12 13.

وعن الصادق (عليه السلام)قال: الأنبياء و أوصياؤهم لا ذنوب لهم، لأنهم معصومون14.

وعن الإمام علي (عليه السلام) قال: لايقاس بآل محمّد (صلى الله عليه وآله و سلم) من هذه الأئمة و الأُمّة أحد...هم أساس الدين و عماد اليقين...ولهم خصائص حق الولاية و فيهم الوصية و الوراثة»15.

وعنه (عليه السلام) أيضا: و كيف تعمهون و بينكم عترة نبيكم و هم أزمّة الحق و أعلام الدين و ألسنة الصدق و فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش16.

وفي قوله (عليه السلام)«فأنزلوهم منازل القرآن» ما يدلّ على عصمتهم. اي اتبعوهم كما تتبعون القرآن.17.

وعن الباقر (عليه السلام) في جواب علي عن سؤال سأله جابر: لأي شيء يحتاج الي النبي والإمام؟ فقال: لبقاء العالم علي صلاحه، و ذلک ان الله عزوجل يرفع العذاب عن أهل الأرض إذا كان فيها نبي أو إمام. قال الله عزوجل: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ... ﴾ 18 وقال النبي (صلى الله عليه و آله و سلم): «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجوم أتي أهل السماء ما يكرهون و إذ اذهب أهل بيتي أتي أهل الأرض ما يكرهون، يعني بأهل بيته الأئمة الذين قرن الله عزوجل طاعتهم بطاعته فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ... ﴾ 19 وهم المعصومون المطهّرون الذين لا يذنبون و لا يعصون،

و هم المؤيدون الموفّقون المسدّدون»20.

وروي سليم بن قيس عن علي(عليه السلام) أنه قال: إن الله تبارك و تعالى طهّرنا و عصمنا و جعلنا شهداء على خلقه و حجّته في أرضه و جعلنا مع القرآن و جعل القرآن معنا لانفازقه و لايفازقنا21.

ويبقي حديث الثقلين في طليعة الأحاديث التي تؤكد عصمة أهل البيت (عليهم السلام) و هو من الأحاديث المتواترة و المشهورة في كتب المسلمين جميعاً، و لايمكن لأحد أن يشكك في صدوره عن سيّدنا محمّد (صلي الله عليه و آله و سلم)22.

وعلى سبيل المثال ما روي عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) يقول: أيّها النّاس إني تركت فيكم الثقلين إن أخذتم بهما لن تضلّوا، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلي الأرض و عترتي أهل بيتي، ألا و إنّهما لن يفترقا حتي يردا علي الحوض23.

والتأمل في الحديث يقودالي الإيمان بما يلي:

إن عترة النبي منزهة عن الخطأ والذنب؛لأن سيّدنا محمّداً (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: إن أخذتم بهما لن تضلّوا بعدي، و لما كان اتباعهم أماماً من الضلال والانحراف، فمعني هذا عصمتهم عن الخطأ، و أنّهم قدوة للمسلمين في عملهم و قولهم.

انّهم المرجع العلمي للمسلمين، و إن علي المسلمين، حتي من الذين لا يعتقدون إمامتهم، الرجوع اليهم في شؤون دينهم.

إن اقترانهم بالقرآن يعني بقاءهم الي يوم القيامة، و إذن فجميع العصور لا تخلو من وجود إمام.

إشكال

لقد ورد في أدعية الأئمة الأطهار ما يدلّ علي اقترافهم الذنوب و طلبهم الغفران من الله عزوجل بل كانوا يبكون خوفاً من عذاب الله و جحيم الآخرة، و مع هذه الاعترافات الصريحة كيف ننسبهم الي العصمة، و هم ينوحون خشيةً من عذاب الله يوم القيامة؟!

الجواب

لا يبقي بعد إثبات عصمة الأئمة الأطهار (عليهم السلام) في ضوء الأدلّة العقلية و القرآن الكريم و الأحاديث الشريفة سوي تأويل هذه الأدعية و فهمها في أطر معينة علي افتراض صحة أسانيدها؛ حيث يمكن تفسير ذلك

من خلال ما بلي:

إن الأئمة (عليهم السلام) يعيشون حالة من الشهود الكامل؛ فهم قد وقفوا علي قدرة الله و عظمته المطلة، كما أنهم يشعرون بفقرهم الذاتي في كل شيء وأنهم لا شيء أمام الله عزوجل، فكل شيء منه سبحانه، فمهما عبدوا الله سبحانه و مهما تضرعوا إليه فإنهم لن يؤدوا حقه.

إن الأئمة (عليهم السلام) يسيرون في طريق الكمال و مدارج التكامل فكما ارتقوادرجة اشتدت نصاعة نفوسهم فيشعرون بتقصيرهم و يندمون علي عباداتهم و طاعاتهم فيما مضي لأنّها في نظرهم لا تليق بشأنه تعالى، فهم في حياء من الله و شعور بالذنب يدفعهم إلي طلب المغفرة.

ان الأئمة جعلوا من الدعاء وسيلة لإرشاد الأئمّة خاصّة في الفترات الحرجة حيث سيوف الجلّادين تكاد تهوي علي أعناقهم، فكانوا بدعادهم يبشرون معارف الإسلام و يرشدون المسلمين إلى جادة الصواب و هذا ما نراه جليّاً في تراث السجاد (عليه السلام).

و الأئمة المعصومون هم معلمو الإنسانية، فربما كانوا يهدفون من دعائهم تعليم الناس أدب الدعاء ولغة التضرّع إلي بارئ الإنسان و واهب الحياة. و من يقرأ أدعية المعصومين (عليهم السلام) يجدها قريبة إلى النفس مؤثرة في القلب لأنها تنبع من طبيعة الإنسان المحتاج الفقير الغافل الذي يخاف سوء العاقبة و يرجو رحمة ربّه.

وأخيراً يمكن تفسير ظاهرة الدعاء الأئمة بأنها نابغة من كلّ ما ذكرنا جميعا24.

_____

1. القران الكريم: سورة الجمعة (62)، الآية: 4، الصفحة: 553.
2. أصول الكافي: ج1ص202.
3. اصول الكافي: ج1ص204.
4. نهج البلاغة: ج2ص19.
5. القران الكريم: سورة الإسراء (17)، الآية: 9، الصفحة: 283.
6. بحار الأنوار: ج25ص194.
7. اثبات الهداة: ج1ص232.
8. ينابيع الموة: ص534.
9. أصول الكافي: ج1ص269.
10. المصدر السابق: ص200.
11. بحار الأنوار: ج25ص193.
12. القران الكريم: سورة آل عمران (3)، الآية: 101، الصفحة: 63.
13. المصدر السابق ص194.
14. المصدر السابق: ص199.
15. نهج البلاغة: الخطبة 2.

16. المصدر السابق: الخطبة 83.

17. شرح ابن ابي الحديد ج6ص376.

18. القران الكريم: سورة الأنفال (8)، الآية: 33، الصفحة: 180.

19. القران الكريم: سورة النساء (4)، الآية: 59، الصفحة: 87.

20. بحار الأنوار: ج23ص19.

21. أصول الكافي: ج1ص191.

22. يتجاوز عدد الصحابة الذين رووا الحديث أكثر من ثلاثين صحابياً، و قدروي بعبارات مختلفة و أسانيد متعددة ضبطتها كتب الفريقين، فهناک ما يربو علي التسعة و الثلاثين حديثاً ً في صحاح أهل السنة و اثنان و ثمانين حديثا ً ضبطتها كتب الشيعة، و قد أفرد مير حامد حسين الهندي في كتابه «العقبات» جزءا ً مستقلا ً لهذا الحديث..

23. ينابيع المودة: ص36.

24. من كتاب دراسة عامة في الامامة.